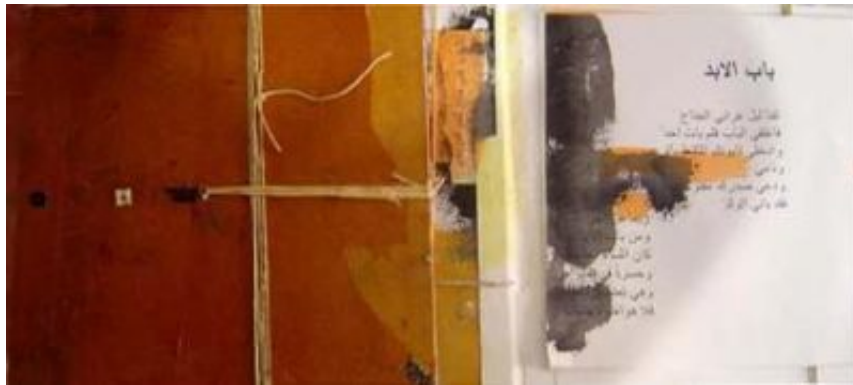


تجربة الدفاتر التشكيلية العراقية دفاتر غسان غائب نموذجاً (1)

قبل عدة سنوات لفت انتباهي كراس صغير موضوع في كيس المجالات الملصق بخلفية كرسي القطار الذي كنت اقله الى كوينهاكن .

الكراس اذا معروض للفرجة او التصفح لتسلية المسافر . شكل الكراس الذي لا يتجاوز طوله خمسة عشر سنتمترا , غريب بعض الشيء . ربما تخاله للحظة محفظة او دفتر مذكرات شخصية نو خصوصية ما . دفتر المذكرات هو الأقرب للتصور رغم خدعة الغلاف الرصاصي الذي يشير الى كونه محفظة . المذكرة هي الأخرى محفظة حميمية المغزى . وفعلا كان الكراس دفتر مذكرات عادي . مواعيد وعناوين وخربشات لتزجية الوقت , شطب ومسح , صور لهوية شخصية او جواز سفر . محاولات رسم خرائط او تمارين رياضية , مشروع رسالة عاطفية او تدوين لبعض من الأحباطات ... الخ .

لست ادري ماهو مغزى اشاعة الخصوصية هذه , لكنه بالتأكيد منهج ما بعد الحداثة .



الدفتر ايضا ربما يكون مشروع كتلوك لمعرض تشكيلي او لمعرض صناعي او خطاطة لأي شئ يخطر على البال . وبما انه في حالات عديدة غير مكتمل للعرض والتداول . فانه يحضى بخصوصية (سرية) ما تميزه عن المطبوعات او الأعمال المقاربة الأخرى . لكن يبقى لكل مشروع ذهني شروط اخراج خاصة بلحضة تنفيذه , وهذا ما يدل عليه كم الدفاتر المنتجة من قبل التشكيليين العراقيين , سواء داخل العراق او خارجه .

العودة للمنباع (الأصول) احدى نقاط الأرق التشكيلي العراقي . الأصول في زمن عالمي يتجاوزها باستمرار , بعد ان لعب على محمولاتها لحد الأنهاك وباتت لا تسير أزمنتها بشكل من الأشكال. وبما ان التشكيل العراقي حاله حال التشكيل العربي حديث عهد نسبيا بمدارس ومسالك التشكيل الغربية , سواء طرق التنفيذ وتفكيك موادها الأولية , او الأساليب والأفكار والمبتكرات ... الا انه التفت الى التراكم الكتابي (المخطوطاتي) الذي ميز ارتنا المحفوظ , وكانت محاولة من بعض تشكيليينا للعب على هكذا محمول منذ حوالي ثلاثة عقود او اكثر (فيما يخص التجربة الدفترية بمعناها المجازي) , خرجت للنور مشاريع دفاتر غير مألوفة حجما واخراجا , حاولت اعادة تدوين قصائد تراثية او حديثة . غالبيتها حملت بصمة العمل الكرافيكى المفرد , رغم تجميع اكثر من عمل تحت مسمى دفتر . وكان دفترا مخطوطا مجازيا , او مخطوط اثري مستعاد بمواصفات حديثة .



زمن التصدع :

.....

الزمن العراقي , زمن غير مألوف ولا أليف , بما حمله من تصدع انساني وبيئي عنيف . وما بين زمن القهر والكبت والدمار الدكتاتوري , وزمن الأنفلات الأهوج لأسوء النوازع الأنسانية المسيسة ضمن زمن الفراغ السياسي والتخلف الاجتماعي . اصبحت ظاهرة الدفاتر التشكيلية العراقية مشغولة بهذا الهم المؤرق لحد اللعنة . رغم ضغط النص الأدبي المكتوب شعرا معظم الأحيان . هذا الشد ما بين النص الشعري الوجداني (الواخز) والأثر البيئي المهدد بالدمار يبدو واضحا في دفاتر التشكيلي (غسان غائب) .



التصدع, ليس فقط تصدع الحائط او الأرض او الرصيف , ليس تصدع الهياكل الأنشائية (المباني) . التصدع مس بالدرجة الأولى الجسد . اجساد معروضة للدمار , للتهشيم في بلدنا . (غسان) لم يغفل امرا كهذا . ولو بحدود الوثيقة المقروءة والمصورة , كما في دفتره الثالث . وثائق شخصية مبعثرة ببصماتها وتقادم ازمنتها , تحمل اختاما مألوفة للأنسان العراقي . اختام النفوس (دائرة الأحوال المدنية) واختام العسكر. مرادفات ضيعت بلدا يود ان يكون امنا . مرادفات او مضادات لم يغفلها الفنان في دفاتره الأربع الأولى , الوثائق الأربع (الكتاب الأول - عن الشخصيات والمكان , الكتاب الثاني - بغداد من الجو , الكتاب الثالث - وثائق شخصية , الكتاب الرابع - الشهداء) .

في دفتره الثاني عن بغداد من الجو . لم يبتعد غسان كثيرا عن اطر اعماله التقليدية الا بحدود ما تختلسه الخارطة من مساحات تنظمر اجزاء منها احيانا بتضاريس ولعه المعماري الصبغي او التلصيصي , رغم خفته هنا . وفي دفتره

الرابع اشتغل على هيكلية السطوح بدلالة عنوان القصيدة (باب الأبد (2) , هيكلية رافضة الأنغلاق الا بحدود ابوابها الهاربة والفضاء المشرع على الشهادة . دفاتره الأخرى تقاسمت صفحاتها نصوص شعرية حديثة وقديمة و تشكيلات غسان اللونية او لعبه على محموله التشكيلي بما توفره مساحة الورقة بحدود رققتها او صلابتها او تداعيات سطوحها وفضاءاتها . وعلى ما يبدو فانها عصية على ملامسة وجدانية القصاصد وان بدت احيانا في حدود تفجرات النص الغاضب . هذا لا يعني خلو هذه الدفاتر من ومضات توازي النص الشعري , او تكشف عن تفسيره الذاتي كما يراه الفنان .



ان كان المحتوى يحتل المتن من الدفتر , فقد تم التعامل بالقصاصد في حدود حيز يكاد يكون منفصلا عن حاشيته التي جاءت كأعمال مستقلة تالية . ربما كان في نية الفنان الأشتغال على مقابلات لنصوص مكتوبة واخرى تشكيلية في مسعى لمحاولة تفكيك ادوات التشكيل بموازات بناءات نسقية معادلة لبناءات اللغة المنطوقة او المقروءة . مسعى ليس بالهين الأتيان به . عمل كهذا ربما يتم تحقيقه بادوات اخرى (الفيديو , مثلا) او العمل المفهومي المبسط او العمل الأدائي الأيمائي . اذ ليس من السهولة بمكان تشريح مغزى النص الشعري بمعادل تشكيلية خارج مألوف معالجات الفنان المعني , ربما يتم ذلك في حالة تغيير ادواته التشكيلية او اخلائها . وما يميز دفاتر غسان الشعرية (معالجاته للقصاصد الشعرية) مقاربات خفية تربط هذه الأعمال لبعضها من جانب امكانية اللعب على خلطها او توزيعها من جديد ولاكثر من مرة . استثنى من هذا بعض الشئ الدفتر السادس . وعلى ما يبدو فان منجز الفنان الأستاتيكي الصلد نوعا ما لم يدع له فسحة من الأنفلات من اسار الياته او مفرداته الطاغية . منجز ترعرع ضمن مجموعة تشكيلية تسترشد ببعضها ولم تبتعد عما انجزته (مثلا) في معرض البيئة والمحيط في اواسط التسعينات (3) . وهي قراءة تشكيلية احادية للمحيط والبيئة دون المساس بتفاصيلها الواسعة . وفنان ك(غسان) تنبأنا اعماله بقابلية اختراق هكذا تفاصيل بيسر في حالة تحرره بعض الشئ من قيود فرضها هو او فرضتها ظروف التشكيل العراقي (الداخل (4)) فدفتره الأول عن الأمكنة اوضح صورة لقابليته الأنقلابية بما تضمن من مونتاج ذكي جمع المكان المألوف ووثائق ساكنية مثلما جمع الأصدقاء العراقية المألوفة (سكن الحياة وسكن الموت , القبور) في معمار متصدع الحدود .



ان كانت دفاتر ما بعد السقوط (5) تعويضا لجهد مستحيل , اومسلكا تشكليا تعويزيا (وخاصة لفناني الداخل) سواء تعدت صنعها الدفاتر المألوفة (صيغة وحجا) فانها حازت على مشروعيتها التشكيلية بنسبة فاقت وظيفتها (طباعة ونشر) واصبحنا نطلع على اعمال تشكيلية تحمل نعت التوريق خارج اطره المألوفة وبصيغ هي الأخرى تحمل لا مألوفية زمنها . اعمال كهذه منحت التشكيلي مساحة تجريب واسعة وبما متوفر لديه من مواد اولية متنوعة حاول جاهدا تهشيمها بهاجس العنف السائد . وميزة دفاتر غسان بمواصفاتها العملية , حجا وتركيبا , قابلة (للطباعة) في حال ان يتوفر لها الحاضن المناسب . وان لم تكن كلها تحمل نكهة الدفتر الساحر فان بعضها لا يبتعد عن ذلك .

1- بالأمكان مراجعة صفحة الفنان على الأنترنت :

[/http://www.4ghassan.com](http://www.4ghassan.com)

2- باب الأبد , عنوان لقصيدة مثبتة في هذا الدفتر .

3- جماعة البيئة والمحيط , تجمع لتشكيليين عراقيين بأحاء من الراحل شاكر حسن ال سعيد والذي بإمكاننا نعتة بعرب الجماعة . عرضوا مشروعهم في المتحف الأردني في عمان , حسب ما اتذكر ' في عام (1998) . تناولت هذه المجموعة وبضمنها (غسان غائب) البيئة والمحيط كتجربة بلاستيكية اشاراتية .

4- انعدام الدعم وشحة المواد وظروف العرض والطلب .

5- سقوط بغداد في (9 نيسان) عام 2003 , واختلاط مفردة السقوط والتحرر .

[علي النجار](#)

التعليقات